

فُصُولُ مِلِّمَاتِ
فِي عِلْمِ الْهَدَايَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

تأليف

الدكتور محمد بن علي بن جميل المطري



١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للناس ولم يجعل له عوجًا، وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] أي: يهدي لأحسن الخصال وأكملها وأنفعها وأصلحها في كل الأمور والأحوال، وفي كل زمان ومكان، فالهدايات القرآنية تصلح حياة الناس وتهديهم في دينهم ودنياهم، وتحافظ على ضرورياتهم، وتُحصّل حاجياتهم، وتراعي واقعهم، وتحل مشاكلهم، وتهديهم في نوازلهم، وتسائر التقدم العلمي والحضاري بما لا يخالف الشريعة الإسلامية الربانية الحكيمة.

والقرآن العظيم فيه بيان كل ما يحتاج إليه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم نصًّا أو دلالة أو استنباطًا، عِلْمٌ ذلك من عِلْمِهِ، وَجْهٌ من جَهِلِهِ، قال الله سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ [النحل: ٨٩].

فالقرآن كتاب هداية، يهدي من تدبره في جميع الأمور الدينية والدنيوية، وفي

مختلف الأحوال من غنى وفقر، وصحة ومرض، وأمن وخوف، وسلم وحرب، فيه ما يصلح الأمة في عقيدتها وعبادتها وأخلاقها ومعاملاتها، وفيه ما يحتاجه الأفراد والأسر، والمجتمعات والدول، وفيه حل جميع مشاكل المسلمين الخاصة والعامة، الداخلية والخارجية، وفيه الرد على كل مبتدع ومبطل، وهو السبيل الوحيد لعز المسلمين وسعادتهم في الدنيا والآخرة.

وهذه فصول مهمة في علم الهدايات القرآنية، بينت فيها أهم مبادئ هذا العلم ومسائله، لخصتها من كتابي المدخل إلى الهدايات القرآنية، والله الموفق.

وكتب / مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ جَمِيلٍ الْمَطَرِيُّ

صنعاء - اليمن

١٧ من شهر ربيع ثاني ١٤٤٨ هـ

matari63@hotmail.com

واتس: ٠٠٩٦٧٧٧٧١٧٥٩٢٧

تعريف الهدايات القرآنية

الهدى لغة ضد الضلالة، بمعنى البيان والإرشاد، ويتعدى بنفسه وبالحرف، تقول: هديته الطريق، وهديته إلى الطريق أو هديته للطريق^(١)، قال الله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

والهداية نوعان:

الأولى: هداية بمعنى الإرشاد، وهذه الهداية يقوم بها الرسل وأتباعهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال عز وجل: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١]، وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فأثبت لهم الهداية التي بمعنى الإرشاد والدلالة.

الثانية: هداية بمعنى التوفيق، وهذه الهداية لا يقدر عليها إلا الله وحده، كما

(١) يُنظر: الصحاح للجوهري (٦/٢٥٣٣)، المخصص لابن سيده (٤/٥١).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] وقال الله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] ^(١).

والمراد بالهدايات القرآنية في الاصطلاح: الإرشادات القرآنية التي تُبين الحق، وتُبطل الباطل، وتوصل لكل خير، وتمنع من كل شر.
وعلم الهدايات القرآنية هو: استخراج الإرشادات القرآنية بدلالة ظاهرة أو خفية ^(٢).

(١) يُنظر: تفسير القرطبي (١/ ١٦٠).

(٢) يُنظر: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ٤٤)، المبادئ العشرة لعلم الهدايات القرآنية لفخر الدين الزبير (ص: ١٢، ١٣)، تقريب الهدايات القرآنية للمؤلف (ص: ٥).

موضوع الهدايات القرآنية

موضوع الهدايات القرآنية هو آيات القرآن الكريم.

وعلم الهدايات يستمد مادته بالاستنباط والاجتهاد المنضبط المبني على القواعد والأصول الشرعية وأساليب اللغة العربية وتنزيل الآيات على الواقع. والقرآن الكريم يتضمن ما يحتاجه الأولون والآخرون، وهو أعظم من أن يحيط بجميع معانيه عالمٌ ومفسرٌ واحد أو علماء زمن معين، فمن عظمة القرآن أنه لا تنقضي عجائبه، وأنه يهدي للتي هي أقوم في كل زمان ومكان، ولم يزل العلماء يستخرجون من القرآن الكريم الهدايات القرآنية الظاهرة والخفية، وما يُستخرج بدلالة خفية هو ما يسميه العلماء الاستنباط.

قال ابن قتيبة: "ولا نعلمه سبحانه خصّ بالعلم قومًا دون قوم، ولا وقفه على زمن دون زمن، بل جعله مشتركًا مقسومًا بين عبادِهِ، يفتح للآخر منه ما أغلقه عن الأول، ويُنَبِّه المقلُّ فيه على ما أغفل عنه المكثّر"^(١).

وقال الرازي: "وقد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين إذا ذكروا وجهًا في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها، ولولا

(١) إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث (ص: ٤٥).

جواز ذلك وإلا لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في تفسير كلام الله مردودة باطلة، ومعلوم أن ذلك لا يقوله إلا مقلدٌ خَلَفُ" (١).

وقال ابن القيم: "أسرار القرآن الكريم أكثر وأعظم من أن يحيط بها عقول البشر" (٢).

وقال ابن الحاج: "عجائب القرآن والحديث لا تنقضي إلى يوم القيامة، كل قرن لا بد له أن يأخذ منه فوائد جمّة خصه الله بها، وضمها إليه؛ لتكون بركة هذه الأمة مستمرة إلى قيام الساعة" (٣).

ونصوص القرآن تنقسم إلى قسمين:

الأول: نصّ ظاهر لا يخفى، ولا يحتاج إلى تفسير، وهذا يستنبط منه المتدبر مباشرة.

الثاني: نصّ يحتاج إلى تفسير، وهذا يكون الاستنباط منه بعد بيانه وتفسيره. والاستنباط يكون بربط المعنى المستنبط بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع

(١) التفسير الكبير (٩/ ٤٩٠).

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٨٣).

(٣) المدخل (١/ ٧٥).

الربط، إما بدلالة الإشارة أو بدلالة المفهوم، أو غير ذلك، وقد يكون الاستنباط لفائدة علمية أو لحكم فقهي أو عقدي أو أدب أخلاقي، وقد يكون الاستنباط لفوائد تربوية^(١).

ويجوز الاستنباط من القرآن العظيم بشرطين اثنين، هما:

الشرط الأول: أن يحتمل المعنى المستنبط ظاهرَ لفظ القرآن الكريم وسياق الآيات، بما يوافق قواعد اللغة العربية في الأفراد والتركيب.

الشرط الثاني: أن لا يخالف المعنى المستنبط صريح القرآن أو ما صح من السنة النبوية، فإنَّ القرآن الكريم حقٌّ يصدق بعضه بعضًا، والسنة الصحيحة حق توافق القرآن ولا تخالفه.

فمن أتى بمعنى جديد أو هداية أو استنباط يخالف ما قرره القرآن أو السنة الصحيحة فإنه معنى خاطئ يقينًا لا يُقبل بحال، ومن أتى بمعنى جديد أو هداية أو استنباط جديد يحتمله لفظ القرآن ولا يخالف ما قرره القرآن أو السنة الثابتة فإنه معنى صحيح، يُقبل منه؛ لأن القرآن الكريم حمّال أوجه، وهذا من عظمة

(١) يُنظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر للطيار (ص: ١٦٠، ١٦١).

القرآن، فالآية الواحدة قد تُفسَّر بأكثر من قول إن كانت تلك الأقوال صحيحة المعاني، ويحتملها اللفظ القرآني بما يوافق قواعد اللغة العربية التي أنزل الله بها القرآن الكريم^(١).

قال الموزعي: "لم يزل العلماء يبدون من التأويلات التي يحتملها الخطاب في المآل بضرب من النظر والاستدلال ما لا تُحصى كثرته على تعاقب الدهور والأعصار، ولا حَجَرٍ إلا في التفسير المنصوص الذي بيّن الشارع ﷺ مراد الله جل جلاله"^(٢).

وقال الشوكاني: "المعاني المأخوذة من كتاب الله سبحانه كثيرة العدد، يستخرج منها كل عالم بحسب استعداده، وقدر ملكته في العلوم"^(٣).

(١) يُنظر: التجديد عند المفسرين، مقال للمؤلف منشور في شبكة الألوكة، وجامع الكتب الإسلامية، وشبكة مشكاة الإسلامية.

(٢) تيسير البيان لأحكام القرآن (٢/ ٢٢٩).

(٣) أدب الطلب (ص: ١٤٨).

مجالات الهدايات القرآنية

هدف الهدايات القرآنية إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهداية الناس للتي هي أقوم في سائر الأمور الدينية والدنيوية، فتحافظ على ضرورياتهم، وتحصل حاجياتهم، وتراعي واقعهم، وتحل مشاكلهم، وتهديهم في نوازلهم، وتسائر التقدم العلمي والحضاري بما لا يخالف النصوص الشرعية، فالأصل في العقود والعادات ومختلف المنافع من الأطعمة والأشربة والأدوية والتجارات والمعاملات وغيرها الإباحة إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة، ولا مؤاخذه على الخطأ والنسيان.

ومن مجالات الهدايات القرآنية:

- ١ - العقائد.
- ٢ - العبادات الظاهرة والباطنة.
- ٣ - التزكية والأخلاق والآداب.
- ٤ - جميع الأمور الدنيوية الاجتماعية والمالية والاقتصادية والطبية والقضائية والسياسية والعسكرية والصناعية وغيرها.
- ٥ - مجال العلوم الكونية والنفسية، القرآن الكريم كتاب هداية وحكم وتشريع، وليس من مقاصده بيان العلوم الكونية والنفسية، ولكن هذه

الأمر قد يذكر بعضها في القرآن عرضاً، وليست هي المقصود بالذات، فنجد في القرآن الكريم هدايات تتعلق بالعلوم الكونية والنفسية بيّنها بعض المتخصصين في الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، مما هو ظاهر بلا تكلف، وفي معرفتها زيادة في اليقين والإيمان، وزيادة أدلة على صدق القرآن وإثبات نبوة محمد ﷺ، ووسيلة عظيمة لدعوة الكفار إلى الإسلام^(١).

(١) يُنظر: شرح القواعد الحسان لابن عثيمين (ص: ١٢١-١٣٦، ١٨٢-١٨٣، ٢٠٧-٢١١)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/ ١٦٥-٢٢٨).

نشأة علم الهدايات القرآنية

لم يزل العلماء عامة والمفسرون خاصة يبينون معاني آيات القرآن وما فيها من الهدايات القرآنية منذ عهد النبي عليه الصلاة والسلام إلى زماننا، ولا تخلو غالب كتب التفسير القديمة والحديثة من ذكر هدايات قرآنية، ولم ينتشر مصطلح الهدايات القرآنية إلا في هذا القرن الخامس عشر الهجري، ومن المفسرين المعاصرين الذين أشهروا هذا الاسم: أبو بكر الجزائري (ت ١٤٣٩هـ) في تفسيره أيسر التفاسير، ومصطفى مسلم (ت ١٤٤٢هـ) في كتابه مباحث في التفسير الموضوعي ومباحث في إعجاز القرآن.

ولم يبرز مصطلح علم الهدايات القرآنية ويتميز كعلم مستقل إلا بعد إنشاء كرسي الهدايات القرآنية في جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام ١٤٣٢هـ، وبعد عدة ملتقيات وبحوث مُحكَّمة صدرت سنة ١٤٣٨هـ أول دراسة تأصيلية لهذا العلم بعنوان: الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية من تأليف الدكتورة الفضلاء: طه عابدين طه، وياسين قاري، وفخر الدين الزبير، بإشراف الدكتور يحيى زمزمي، وبعد هذه الدراسة التأصيلية بدأ العمل على أول موسوعة عالمية متخصصة في جمع الهدايات القرآنية بمشاركة ستين باحثًا أكاديميًا من أكثر من ثلاثين جامعة من دول شتى.

فأول من أصَّل علم الهدايات القرآنية هو: كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ومن أعظم مشاريعها العلمية: الموسوعة العالمية في الهدايات القرآنية بإشراف كرسي الهدايات القرآنية في جامعة أم القرى في نحو ٦٥ مجلدًا، ثم نشأت عدة مراكز بحثية ومؤسسات علمية لها جهود مباركة في علم الهدايات القرآنية، وظهرت مؤلفات كثيرة في الهدايات القرآنية لكثير من الباحثين.

نسبة علم الهدايات القرآنية

علم الهدايات القرآنية من علوم القرآن، وبينه وبين التفسير والتدبر علاقة وثيقة، فالتفسير هو: بيان معاني آيات القرآن الكريم. والتدبر هو: تأمل آيات القرآن الكريم، وإعادة النظر فيها مرة بعد أخرى، والتفكر في معانيها الظاهرة والمستنبطة، وتنزيلها على الواقع، والنظر في مناسبة الآيات والسور، ومقاصد السور. والهدايات القرآنية هي الإرشادات المستفادة من معاني آيات القرآن الكريم، التي تبين ما تضمنه القرآن الكريم من العلم النافع، والعمل الصالح، منطوقاً أو مفهوماً، مما هو ظاهر أو مستنبط.

والأصل أن التفسير يكون أولاً، والتدبر يكون غالباً ثانياً بعد التفسير وفهم المعنى، وقد يكون التدبر لمعرفة القول الراجح في تفسير الآية^(١).

ويمكن توضيح الفرق بين علم التفسير والتدبر وعلم الهدايات القرآنية فيما يلي:

١ - علم التفسير يهتم بتوضيح معاني الآيات ليسهل تدبرها، بينما علم

(١) يُنظر: مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر للطيار (ص: ٥٤، ١٨٦ - ١٩٠)، تقريب الهدايات القرآنية للمؤلف (ص: ٥).

الهدايات يهتم بما تهدي وترشد إليه تلك المعاني القرآنية، فالتفسير بيان وتوضيح لتيسير التدبر، والهدايات دلالات وإرشادات تعرف وتستخرج من الآيات بعد التفسير والتدبر.

٢ - علم التفسير يحرص المفسر فيه على تفسير القرآن بالقرآن الكريم، وبالسنة النبوية، وبأقوال الصحابة والتابعين وأتباعهم، وبما يوافق اللغة العربية، ويتدبر الآيات لمعرفة معانيها وأحكامها، واستخراج هداياتها، بينما في علم الهدايات يحرص المستنبط على تدبر معاني الآيات، والتأمل في دلالات ألفاظها، والنظر في سياقها، والتفكير في مناسبة السورة والآيات لما قبلها وما بعدها، واعتبار موضوع السورة، والتفكير في مجموع أدلة الكتاب والسنة، وربط الآيات بالواقع، واستحضار مقاصد الشريعة وأصولها.

٣ - التفسير والتدبر مقدمة لعلم الهدايات، فالتفسير والتدبر وسيلة، ومعرفة الهدايات هي الغاية، فإن المقصد من تفسير القرآن العظيم وتدبره هو معرفة هداياته للعلم والعمل بها^(١).

(١) يُنظر: هذه رسالات القرآن فمن يتلقاها؟ لفريد الأنصاري (ص: ٦١-٧٥)، الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية لمجموعة من المؤلفين (١/٤٨-٥٥).

أهمية علم الهدايات القرآنية

يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

فهو قرآن كريم، حكيم، عزيز، عظيم، مجيد، مبین، مبارك، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢].

أنزل الله كتابه لتذكرك به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَذَّبَ رُءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩].

والقرآن الكريم كتاب مجيد، كثير المعاني والوجوه، كثير الخير والبركات، وصفه الله بأنه مجيد فقال: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١]، والمجد: سعة الأوصاف وعظمتها.

وبالهدايات القرآنية يزداد الإيمان، وتصلح القلوب والأعمال والأخلاق، ويتبين الحق من الباطل، ويجتمع المسلمون على الحق، ويتآلفون ويتعاونون على البر والتقوى، وتحصل لهم السعادة الحقيقية والحياة الطيبة والطمأنينة، ويحصل لهم التمكين في الأرض، ويفوزون برضا الله وجنته.

والقرآن العظيم مشروع رباني متكامل، ومنهج إصلاح شامل لهداية الناس

في جميع أمور دينهم ودنياهم، على اختلاف أحوالهم، وهو السبيل الوحيد لإصلاح مشاكل البشرية الخاصة والعامة، وكل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى الهدايات القرآنية، في مجال العقائد أو العبادات أو الأخلاق أو المعاملات، وغير ذلك من سائر جوانب الحياة الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والسياسية، فهو دستور شامل للأمة الإسلامية.

وهدايات القرآن العظيم تحقق للأمة السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، فهو يحث المسلمين على التعاون على البر والتقوى، ويدعوهم إلى اتباع الهدى، وتحقيق التقوى، واستعمال العقول، والتفكر في الكون، والتخلي عن الأوهام والظنون، ويدعو إلى تحقيق العدل والإحسان، وأداء الأمانات إلى أهلها، وإعطاء كل ذي حق حقه، ويبين للأمة أسباب النصر والتمكين.

موانع الانتفاع بالهدايات القرآنية

من موانع الانتفاع بالهدايات القرآنية ما يلي:

- ١- وقوف السامع عند حسن صوت القارئ، وانصراف همه القارئ إلى تكثير عدد الختمات بلا تدبر.
- ٢- الغفلة عن تدبر القرآن بسبب المبالغة في تحقيق التجويد عن المعاني، أو الاقتصار على تعلم القراءات المختلفة ومعرفة الوجوه النحوية في الإعراب والانشغال بذلك عن مقاصد القرآن وهداياته.
- ٣- الاكتفاء بالظاهر من المعاني بلا تدبر وتأمل لمفهوم الآيات ولوازمها وما يدل عليه سياقها ومقصودها.
- ٤- التقصير في تعلم التفسير، والانشغال عنه بعلوم أخرى، أو الاقتصار على تفسير شيخ أو تقليد مذهب أو الاكتفاء بتعلم تفسير بعض سور القرآن.
- ٥- الاغترار ببعض الأحاديث والآثار المكذوبة، والروايات الإسرائيلية الباطلة، والانشغال بالأقوال الشاذة والمتكلفة.
- ٦- تأويل القرآن بما يوافق المذاهب الباطلة والأفكار المنحرفة التي فيها إلحاد في آيات الله سبحانه.
- ٧- الظن بأن الهدايات القرآنية والاستنباطات المتنوعة لا بد لها من سلف.

- ٨- قصر الهدايات القرآنية على جوانب العقيدة والأحكام الفقهية والأخلاق فقط، وترك الاستفادة من الهدايات القرآنية في الجوانب التربوية والنفسية والاجتماعية والدعوية والاقتصادية والسياسية.
- ٩- الفصل بين الواقع والقرآن، وعدم تنزيل الآيات على الواقع الخاص والعام^(١).

(١) يُنظر: طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تأصيلية تطبيقية لطفه عابدين (ص: ٤٧ - ٦٩)، التدبر لعبد الله جوان (ص: ٢٢ - ٢٥).

مشروعية استخراج الهدايات القرآنية إلى قيام الساعة

القرآن مجيد واسع المعاني، كثير البركات، بين الله فيه كل ما نحتاج إلى بيانه نصًّا أو دلالةً أو استنباطًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، قال الشافعي: "كل ما أنزل في كتابه جل ثناؤه رحمة وحجة، علمه من علمه، وجهله من جهله، ... فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلةً إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها"^(١).

ومن عظمة القرآن أنه لا يمكن لعالم أو علماء زمن معين أن يحيطوا بجميع معانيه وهداياته، فهو حمّالٌ أوجه، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة)^(٢).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: (هذا كتاب الله فيكم لا تفنى عجائبه،

(١) الرسالة (ص: ١٣-٢٠).

(٢) رواه عبد الرزاق الصنعاني كما في آخر مصنفه (٢٠٤٧٣) من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء، ورواه ابن أبي شيبة (٣٠١٦٣) عن الثقفى عن أيوب به موقوفاً على أبي الدرداء، وصححه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٨١٣/٢).

ولا يُطفأ نوره^(١).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (القرآن لا تنقضي عجائبه)^(٢).

فهدايات القرآن لا تنقضي إلى يوم القيامة، والعلماء المتدبرون لكتاب الله في كل قرن يأخذون منه فوائد جمة يخصصهم الله بها، والله يعطي من يشاء فهمًا في كتابه وهو الوهاب الفتاح ذو الفضل العظيم^(٣).

سُئِلَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم كتاب؟ قال: (لا، إلا كتابُ الله، أو فهمُ أعطيه رجلٌ مسلم)^(٤).

قال القسطلاني في شرح هذا الحديث: "يفهم منه جواز استخراج العالم من القرآن بفهمه ما لم يكن منقولاً عن المفسرين إذا وافق أصول الشريعة"^(٥).

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٤٣١).

(٢) رواه الدارمي في سننه (٣٣٥٨)، وروى الترمذي في سننه (٢٩٠٦) مثل هذا عن علي رضي الله عنه مرفوعاً، ورجح ابن كثير أنه موقوف من قوله. يُنظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢١).

(٣) يُنظر رسالتي: هل كل عالم دُون طلابه جميع أقواله ومروياته في العلم؟ وهل كل عالم روى أو كتَبَ جميع علمه؟ وهو مقال منشور في شبكة الألوكة.

(٤) رواه البخاري (١١١).

(٥) إرشاد الساري (١٦٠ / ٢).

ومن الخطأ أن يعتقد الإنسان أن لا معنى لآيات القرآن إلا ما تناوله النقل عن السلف الصالح، وأن ما عدا ذلك تفسيرٌ بالرأي المذموم مطلقاً، فهذا من الحُجُب العظيمة عن الانتفاع بالقرآن العظيم، فإن القرآن مجيد واسع المعاني والدلالات، وهدايات القرآن مباركة ومتجددة، وصالحة في جميع الأحوال لكل إنسان، وفي كل مكان وزمان^(١).

قال ابن تيمية: "الإنسان يقرأ السورة مرات حتى سورة الفاتحة ويظهر له في أثناء الحال من معانيها ما لم يكن خطر له قبل ذلك حتى كأنها تلك الساعة نزلت؛ فيؤمن بتلك المعاني ويزداد علمه وعمله، وهذا موجود في كل من قرأ القرآن بتدبر بخلاف من قرأه مع الغفلة عنه"^(٢).

وقال ابن القيم: "الرأي نوعان: أحدهما: رأي مجرد لا دليل عليه، بل هو خَرَص وتخمين، ... والثاني: رأي مستندٌ إلى استدلال واستنباط من النص

(١) يُنظر: إحياء علوم الدين للغزالي (١/٢٨٤، ٢٨٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١/٢٨، ٢٩)، وللتوسع في هذه المسألة المهمة راجع رسالتي: حكم المعاني التي تحتملها آيات القرآن ولم تُنقل عن السلف الصالح.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٢٣٦). ويُنظر: قطف الأزهار في كشف الأسرار للسيوطي (ص: ١٠١-١٥٠).

وحده، أو من نص آخر معه، فهذا من أطف فهم النصوص وأدقه"^(١).

وقال محمد عبد الخالق عزيمة: "أسلوب القرآن معجز، لا يستطيع أحد أن يحيط بكل مراميه ومقاصده، فاحتمل كثيرًا من المعاني، وكثيرًا من الوجوه"^(٢).

ومعلوم أن المفسرين يبينون معاني القرآن، ويكثرون من الاستنباطات منه بحسب ما رزقهم الله من فهم كتابه، فمستقل ومستكثر، وكل قول قامت عليه دلائل اللغة بلا تكلف، وتوافق مع دلائل السياق، وقرائن الوحي، وانضبط بأصول وقواعد الشرع فهو قول معتبر، وإن لم يكن منقولاً عن السلف الصالح^(٣).

وكل عالم من السلف لم يدوّن طلابه جميع أقواله ومروياته في العلم، ولم يحدث كلُّ صحابي وتابعي بجميع ما يعلمه من تفسير القرآن الكريم، ويدل

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٨٠). ويُنظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/ ٣٧٠-٣٧٥).

(٢) دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٨/ ٧٩).

(٣) يُنظر: طرق العلماء في استخراج الهدايات القرآنية وصياغتها دراسة تأصيلية تطبيقية لطفه عابدين (ص: ٥٥-٦١).

على هذا أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت)^(١)، ومع هذا نجد آيات كثيرة في كتاب الله لم تُنقل فيها رواية عن ابن مسعود، وقال مجاهد: (عرضتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه، وأسأله عنها)^(٢)، ومع هذا نجد آيات كثيرة ليس في تفسيرها رواية عن ابن عباس ولا عن تلميذه مجاهد، فالعلم بحر واسع، وليس كلُّ العلم الذي في صدر العالم مدوّنًا، فلو هُيئ أن سأل بعض التابعين أبا بكر أو عمر أو عثمان أو عليًا أو ابن مسعود أو أبي بن كعب رضي الله عنهم عن تفسير جميع آيات القرآن لوجد عندهم علمًا واسعًا.

فعِلْمُ السلف هو الأصل الذي يجب التأسيس عليه، لكن لا يصح أن نظن أن جميع ما يدل عليه القرآن من العلوم الظاهرة والخفية والدقائق والإشارات قد علمها السلف الصالح رضي الله عنهم، وأنهم بينوا جميع ما تحتمله آيات

(١) رواه البخاري (٥٠٠٢) ومسلم (٢٤٦٣).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٢٨٧) وابن جرير في تفسيره (٨٥ / ١) والطبراني في

المعجم الكبير (١١٠٩٧).

القرآن الكريم من المعاني والهدايات والاستنباطات، ولم يتركوا شاذة ولا فاذة إلا بينوها لمن بعدهم، وأنها منقولة عنهم في كتب التفسير بالمأثور!

فمن يظن أن السلف الصالح لا يخفى عليهم شيء من علوم القرآن الكريم الظاهرة والخفية، وأن جميع علمهم مدوّن في الكتب؛ فقد أخطأ يقيناً، فالقرآن أعظم من أن يحيط الناس بجميع معانيه وأسراره، فمن تعظيم القرآن الكريم أن تعتقد أنه لا يمكن لعلماء أي عصر أن يعلموا جميع ما فيه من المعاني والهدايات، وإن كان السلف الصالح أعلم الناس بكتاب الله سبحانه.

قال مساعد بن سليمان الطيار: "المعنى يمكن أن يتعدد، ولم يكن من شرط التفسير أن السابقين قد أتوا على جميع محتملاته، بل هناك بعض المحتملات الصحيحة التي لم يذكرها السلف، وهذه المحتملات تُقبل إذا توافرت فيها الضوابط الآتية:

١ - أن يكون المعنى المذكور صحيحاً في ذاته.

٢ - أن لا يبطل قول السلف.

٣ - أن تحتمله الآية.

٤ - أن لا يُقَصَّر معنى الآية على هذا المحتمل الجديد، ويُترك ما ورد

عن السلف^(١).

وكل من يطَّلَع على كتب التفسير ويقارن بينها يجد أن الله سبحانه يفتح على كثير من المفسرين المتأخرين والمعاصرين بما لم يذكره المفسرون المتقدمون. فابن تيمية مثلاً له استنباطات وفوائد كثيرة لم يُسَبَق إليها، قال الداوودي: "قال الذهبي في معجم شيوخه: برع ابن تيمية في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال، واستنبط منه أشياء لم يُسَبَق إليها"^(٢).

ولابن القيم استنباطات ومعانٍ في التفسير لم يُسَبَق إليها^(٣).

وقال الشنقيطي: "كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه، وعجائبه متجددة على مر الليالي والأيام، ففي كل حين تفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل"^(٤).

فلا مانع شرعاً ولا عقلاً أن يفوت السلف الصالح فهم آياتٍ يسيرة من القرآن أو فهم أحاديث قليلةٍ من السنة النبوية لحكمة أرادها الله سبحانه، ثم يأتي

(١) لقاءات ملتقى أهل الحديث بالعلماء (١٣ / ٣٧، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) طبقات المفسرين (١ / ٤٨).

(٣) يُنظر مثلاً: بدائع الفوائد لابن القيم (٢ / ١٤٦).

(٤) أضواء البيان (٢ / ٢٥٨، ٢٥٩).

من بعدهم فيفهم تلك الآيات والأحاديث فهمًا صحيحًا بلا تكلف بسبب تقدم العلم التجريبي أو لغير ذلك من الأسباب، ويكون ذلك من دلائل النبوة وإعجاز القرآن والسنة، ويدخل ذلك في قول الله تعالى: ﴿سَرُّهُمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

ولا يعني هذا أن الخلف أعلم من السلف بالقرآن والسنة وأمور الدين، بل السلف أعلم وأحكم، واتباع سبيلهم أسلم، ومن سبيلهم التوقف عن القول بلا علم، وترك التكلف في العلم، والإيمان بأنه لا علم للإنسان إلا ما علّمه الله، ولا يصح أن نقول: إن السلف اجتمعوا على ضلالة إذا لم يعرفوا جميع وجوه معاني آية أو إذا أمسكوا عن القول فيما استأثر الله بعلمه، وقد لا يأذن الله للناس أن يعلموا شيئًا من معاني القرآن أو السنة في وقت، ثم يشاء أن يعلموه في وقت آخر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقد لا يشاء الله أن يعلم الناس شيئًا من كتابه تعجيزًا لهم، مثل قصة اليسع وذي الكفل عليهما السلام، فقد ذكرهما الله في كتابه من غير ذكر قصتهما، فقال:

﴿وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٨]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (التفسير على أربعة أوجه: وجهٌ تعرفه العرب من كلامها، وتفسيرٌ لا يعذر أحدٌ بجهالته، وتفسيرٌ يعلمه العلماء، وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله)^(١).

ولا يمكن أن يجتمع السلف الصالح على ضلالة، فهم على هدى من ربهم، وقد أمرنا الله باتباعهم، والإيمان كإيمانهم، ولو نقلوا بعض الإسرائيليات التي أجاز النبي عليه الصلاة والسلام لأئمة التحديث بها بلا تصديق لها ولا تكذيب فلا حرج عليهم^(٢)، ولو سكتوا عن تفسير آية أو حديث لم يظهر لهم المعنى أو أشكل عليهم في زمانهم فهذا لا يُنقص من قدرهم، ولو وقع من بعضهم خطأ في فهم آية أو في فهم حديث فلا يصح أن يقال: إنهم أجمعوا على ضلالة، فهم مأمورون أن يتدبروا القرآن بلا تكلف، وأن يكلوا ما أشكل عليهم إلى عالمه، وهذا من علمهم

(١) رواه ابن جرير في تفسيره (١/ ٧٠)، ويُنظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٤).

(٢) روى البخاري (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ))، وروى البخاري (٤٤٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ)).

وفضلهم، ففي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: ((مَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِهِ))^(١)، وثبت عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: (كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ نَبِيِّهِ مَا اسْتَبَانَ لَكُمْ فَأَعْمَلُوا بِهِ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَكِلُوهُ إِلَى عَالِمِهِ)^(٢)، وقال التابعي الجليل الربيع بن خثيم: (يَا عَبْدَ اللَّهِ اتَّقِ اللَّهَ فِيمَا عُلِّمْتَ، وَمَا اسْتَوْثِرَ بِهِ عَلَيْكَ فَكِلْهُ إِلَى عَالِمِهِ، مَا كُلُّ مَا نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ أَذْرَكْتُمْ، وَلَا كُلُّ مَا تَقْرَأُونَ تَدْرُونَ مَا هُوَ)^(٣)، فالسلف الصالح لا تكلف في علمهم، فما ظهر لهم من معاني القرآن والسنة علموه وقالوا به، وما أشكل عليهم سكتوا عنه، وفوضوا علمه إلى عالمه، ولم يخوضوا فيه بلا علم، وقد يفسرون القرآن الكريم بما يظهر لهم، ويقع بينهم خلاف في تفسير بعض الآيات كما هو معلوم.

وقد نهى الله الصحابة أن يسألوا رسوله ﷺ عن أشياء ليس من المصلحة أن يُخبروا بها في عصر التنزيل فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ

(١) رواه أحمد بن حنبل في مسنده (٦٧٠٢) و (٦٧٤١).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٥٣٢١) وصححه الذهبي في تلخيص المستدرک.

(٣) رواه أحمد بن حنبل في الزهد (١٩٨٠) بإسنادٍ صحيح.

لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٢﴾ [المائدة: ١٠١، ١٠٢]، وحين سألوا رسول الله ﷺ عن الأهلّة لم يجبههم الله عن نفس سؤالهم، وأجابهم بما ينفعهم العلم به فقال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

واعلم أنه قد يُنقل قولٌ عن بعض مفسري السلف الصالح، ولا يُنقل عن غيرهم موافقة ولا مخالفة، فينسبه بعضهم قولاً لجمهور السلف أو يجعله إجماعاً سكوتياً، وهذا توسع غير مرضي، لا سيما إن كان هذا القول ليس ظاهر الآية^(١).

قال صالح آل الشيخ: "الإجماع أن يكون كل من عُرف بالتفسير من التابعين نُقل تفسيره للآية فاتفقوا عليه، نجد أن المنقول في الآية يُنقل عن

(١) يُنظر على سبيل المثال: هل البحر انشق لموسى طريقاً واحداً أو اثني عشر طريقاً؟ ورسالة: هل قتل بنو إسرائيل أنفسهم بسبب عبادتهم العجل ليتوب الله عليهم؟ وهما رسالتان للمؤلف منشورتان في شبكة الألوكة. وللتوسع في هذا الباب يُنظر: الخطأ في نسبة الأقوال في كتب التفسير، للمؤلف، وهي رسالة ماجستير، منشورة أيضاً في شبكة الألوكة، والحمد لله على توفيقه.

واحد، اثنين، فقط، لا يسوغ أن نقول: إن البقية الذين لم يُنقل كلامُهم متفقون معهم في ذلك، كذلك عدم ذكر الخلاف لا يعني الإجماع، بعض العلماء يسميه إجماعاً سكوتياً، وبعضهم يقول: لم يُعلم لهم مخالف فكان إجماعاً، هذه كلها فيها تجوُّز^(١).

ولا تجوز مخالفة السلف الصالح فيما ثبت إجماعهم عليه في التفسير؛ لأن إجماعهم حجة، ومخالفتهم ضلالة، ولا يمنع مجرد ورود قول عن بعضهم دون ثبوت إجماعهم من إيراد قولٍ جديد في التفسير، إذا كان مما تحتمله وجوه الآية لغةً وسياقاً بلا تكلف، ولم يعارض دليلاً شرعياً صحيحاً، ولا يسوغ الحكم ببطلان القول الجديد بمجرد عدم نقله عن السلف، ما دام موافقاً لظاهر الآية وسياقها، ولا يخالف أصول الشريعة ومقاصدها.

وكلُّ عالمٍ ومفسرٍ يُؤخذ من قوله ويُترك وإن كان من الصحابة رضي الله عنهم، ومن استنبط ما لا يحتمله لفظ الآية، أو ما يخالف الأدلة الشرعية، فقوله مردودٌ سواء كان من أهل السنة أو من أهل البدعة، ومن استنبط استنباطاً يحتمله لفظ الآية

(١) شرح مقدمة التفسير - دروس صوتية، المكتبة الشاملة (١٢/ ٢١)، بترقيم المكتبة الشاملة (آليا).

بلا تكلف، ولا يخالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة فهو معنى مقبول وإن كان الذي استنبطه مبتدعاً^(١).

فمن جاء بقول يخالف القرآن أو السنة أو الإجماع أو أصول الشريعة فلا عبرة بقوله المحدث، قال ابن تيمية: "كل قول ينفرد به المتأخر عن المتقدمين، ولم يسبقه إليه أحد منهم؛ فإنه يكون خطأ كما قال الإمام أحمد بن حنبل: إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام"^(٢).

أما من كان قوله مبنياً على قواعد العلم الذي تكلم فيه، وهو متبع لمنهج العلماء في الاستدلال والاستنباط، فلا حرج عليه، وما يدريك لعل بعض العلماء السابقين يقول بقوله، أو قد يوافقه على قوله لو عُرِضَ عليه؟! فليس كلُّ عالم منقولةً أقواله كما تقدم.

فالتجديد في التفسير موجود في تفاسير المتأخرين في إيراد بعض المعاني وتكثير الأمثلة وتنويع الأساليب وتوسيع الدلالات، ومنه ما يُقبل، ومنه ما لا يُقبل، ومنه ما يختلف في قبوله العلماء أو يتوقف فيه بعضهم، ولا يعني التجديد في التفسير أن

(١) للتوسع في هذه المسألة يُنظر رسالتي: حكم المعاني التي تحتلها آيات القرآن ولم تُنقل عن السلف الصالح.

(٢) مجموع الفتاوى (٢١/٢٩١).

يخالف المتأخر الإجماع، أو يتكلم في العلم بالهوى والظنون والأوهام، فإن هذا ضلال مبين، وجهل عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وإنما المراد أن العالم المتأخر قد يفتح الله عليه بأشياء من العلم النافع الذي تدل عليه آيات القرآن والأحاديث النبوية فاتت المتقدمين، فيستنبط من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ما لم يستنبطه من قبله، أو يظهر له دليل لم يستدل به من قبله، أو يظهر له ضعف قول راجع على كثير ممن قبله، ونحو ذلك مما لا يخالف النصوص، ولا الإجماع الصحيح، مع الاعتراف بفضل علم السلف على علم الخلف.

وما أحسن ما قاله بكر أبو زيد: "احذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر، وصوابه: كم ترك الأول للآخر! فعليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ، وابذل الوسع في الطلب والتحصيل والتدقيق، ومهما بلغت في العلم فتذكر: كم ترك الأول للآخر!"^(١).

وما أكثر الاستنباطات الصحيحة والفوائد القرآنية اللطيفة في بعض كتب

(١) حلية طالب العلم (ص: ١٧٤).

المفسرين المتأخرين والمعاصرين!

والأمثلة على ما ذكره بعض المفسرين المتأخرين مما لا نجده منقولاً عن

الصحابة والتابعين كثيرة، سبق بعضها، وأكتفي هنا بذكر مثالين:

١- قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]،

المنقول في كتب التفسير القديمة أن المعنى: جعل لكم وخلق لكم^(١)، وقال

ابن تيمية: "لا حاجة إلى إخراج اللفظ عن معناه المعروف لغة؛ فإن الأنعام

تنزل من بطون أمهاتها، ومن أصلاب آبائها تأتي بطون أمهاتها"^(٢)، وقال ابن

القيم: "الأنعام تُخلق بالتوالد المستلزم إنزال الذكور الماء من أصلابها إلى

أرحام الإناث، ولهذا يُقال: أنزل ولم يُنزل، ثم الأجنة تنزل من بطون

الأمهات إلى وجه الأرض، ومن المعلوم أن الأنعام تعلو فحولها إناثها

بالوطة، وينزل ماء الفحل من علو إلى رحم الأنثى، وتلقي ولدها عند

الولادة من علو إلى أسفل"^(٣).

(١) يُنظر مثلاً: تفسير ابن جرير (١٦٢/٢٠)، تفسير الماتريدي (٦٥٩/٨)، الوسيط

للواحدي (٥٧١/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٨/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٥٤/١٢).

(٣) مختصر الصواعق المرسلّة للبعلي (ص: ٤٤٢).

٢- قوله تعالى عن أصحاب الأخدود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]،
هذه الآية فيها إثبات عذاب القبر، فقد أخبرنا الله أن أصحاب الأخدود
الذين حرقوا المؤمنين والمؤمنات لهم عذابان وليس عذاباً واحداً، فعذاب
جهنم في الآخرة، وعذاب الحريق في قبورهم، وقدّم ذكر عذاب جهنم؛ لأنه
أعظم وأدوم، ولا أعلم أحداً من المفسرين القدامى ذكر أن هذه الآية تدل
على إثبات عذاب القبر، وهو دليل ظاهر، فتح الله عليّ به، وذكرته في
رسالتي: عشرون دليلاً من القرآن الكريم على إثبات عذاب القبر ونعيمه،
فالأصل في الواو المغايرة، فعذاب جهنم في الآخرة، وعذاب الحريق في
البرزخ، ويدل عليه قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ
كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠]، ثم رأيت ابن عاشور ذكره في تفسيره^(١)،
والحمد لله على توفيقه.

(١) يُنظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٤٧/٣٠).

الخاتمة

من أهم ما تضمنته هذه الرسالة:

- ١ - التعريف بعلم الهدايات القرآنية وفضله وفوائده ونشأته وأهم مسأله.
- ٢ - دارس القرآن الكريم لا يتمكن من معرفة تفاصيل أحكام القرآن حتى يتمكن من السنة النبوية، فالعموم والإجمال في القرآن كثير، والسنة مفصلة لذلك العموم والإجمال، فعلى دارس القرآن الكريم أن يفهم معاني الآيات من خلال السنة النبوية القولية والفعلية، ويعتني بأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين.
- ٣ - لا تجوز مخالفة السلف الصالح فيما ثبت إجماعهم عليه في التفسير؛ لأن إجماعهم حجة، ومخالفتهم ضلالة، ولا يمنع مجرد ورود قول عن بعضهم دون ثبوت إجماعهم من إيراد قولٍ جديد في التفسير إذا كان مما تحتمله وجوه الآية لغةً وسياقًا بلا تكلف، ولم يعارض دليلًا شرعيًا صحيحًا، ولا يسوغ الحكم ببطلان القول الجديد بمجرد عدم نقله عن السلف، ما دام موافقًا لظاهر الآية وسياقها، ولا يخالف أصول الشريعة ومقاصدها، فلا تعارض بين الأمر بتدبر القرآن الكريم وبين وجوب فهمه

كما فهمه السلف الصالح.

٤- لا يجوز إعادة فهم النص الشرعي، فالسلف الصالح أكثر علمًا، وأقل تكلفًا، وأعظم خشية، وهم الذين أسسوا العلوم ليني عليها من جاء بعدهم، وليسوا معصومين من الخطأ، لكنهم بفضل الله لا يجتمعون على ضلالة، ولو سكتوا عن تفسير آية أو حديث أشكل عليهم فهذا لا يُنقص من قدرهم، فهم مأمورون أن يتدبروا القرآن بلا تكلف، وأن يكلوا ما أشكل عليهم إلى عالمه، وهذا من علمهم وفضلهم.

٥- من الخطأ إغلاق باب التجديد في التفسير مطلقًا، والاختصار على الاستفادة من كتب التفسير بالمأثور فقط، وإنكار كل معنى صحيح يحتمله لفظ القرآن لكون قائله من المتأخرين، ومن الخطأ أيضًا فتح الباب على مصراعيه لكل من هب ودب من غير ضوابط، وقد حذرنا الله من الذين يتبعون ما تشابه من كتابه، ويلحدون في آياته.

٦- جواز الاستنباط من القرآن العظيم بشرطين اثنين:
الشرط الأول: أن يحتمل المعنى المستنبط ظاهرَ لفظ القرآن الكريم
وسياق الآيات، بما يوافق قواعد اللغة العربية في الأفراد والتركيب.

الشرط الثاني: أن لا يخالف المعنى المستنبط صريح القرآن أو ما صح من السنة النبوية.

٧- التأكيد على فضل القرآن وعظمته وبركته، والحث على تعلمه وتدبره واتباعه، فقد جعله الله سبحانه كتاب هداية لنهتدي به في جميع أمورنا، ونتذكر به ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، لا تنقضي عجائبه وهداياته، يهدي المتدبرين للتي هي أقوم في كل زمان ومكان، في جميع الأمور والأحوال، نصًّا أو دلالة أو استنباطًا، علِّمه مَنْ علِّمه، وجَّهْه مَنْ جَّهْه.

٨- علماء المسلمين عبر العصور يستنبطون من القرآن الكريم الهدايات القرآنية الظاهرة والخفية، ويستدلون بالآيات القرآنية على كثير من مسائل العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق والسياسة والرد على المخالف وغير ذلك مما يحتاج إليه المسلمون في أمور دينهم ودنياهم.

المحتويات

المقدمة	٣
تعريف الهدايات القرآنية	٥
موضوع الهدايات القرآنية	٧
مجالات الهدايات القرآنية	١١
نشأة علم الهدايات القرآنية	١٣
نسبة علم الهدايات القرآنية	١٥
أهمية علم الهدايات القرآنية	١٧
موانع الانتفاع بالهدايات القرآنية	١٩
مشروعية استخراج الهدايات القرآنية إلى قيام الساعة	٢١
الخاتمة	٣٧
المحتويات	٤٠